الولاية : عموم الولايات

التاريخ : 17. 02. 2017

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ﴿1﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿2﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿3﴾

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ.

الحَقائِقُ التى تُعَلِّمُنا إِيّاها سورَةُ العَصْرِ

إخوانى المُؤْمِنُونَ!

فى القُرْآنِ الكَريمِ سورَةٌ قَصيرَةٌ ولَكِنَّها عَميقَةٌ فى المَعْنى والمَغْزى. هَذِهِ السُّورَةُ تَتَناوَلُ بِشَكْلٍ وَجيزٍ الطُّرُقَ التى تُنْجى الإنْسانَ مِنَ الخُسْرانِ الأبَدِيِّ وتُوصِلُهُ إلى نِعَمٍ لا تَنْفَدُ. هَذِهِ السُّورَةُ هى سورَةُ العَصْرِ[1]. إنّ سُورَةَ العَصْرِ تُعَلِّمُنا خَمْسَ حَقائِقَ تَبْعَثُ الحَياةَ فى نُفوسِنا. فَتَعالَوْا فى خُطْبَتِنا اليَوْمَ نُصْغِ مَعاً إلى تِلْكَ الحَقائِقِ الخَمْسِ.

إِخْوانى الأعِزّاءُ!

إنَّ الحَقيقَةَ الأولى التى تُعَلِّمُنا إيّاها سورَةُ العَصْرِ هو إِدْراكُ الوَقْتِ. فَالإنْسانُ مَخْلوقٌ مَحْدودٌ بِالوَقْتِ. يَقُولُ اللهُ تَعالى فى بِدايَةِ سُورَةِ العَصْرِ: "وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ". فَجَعَلَ الوَقْتَ يَشْهَدُ على الإنْسانِ لأنّ الوَقْتَ هو واحدٌ مِنْ كُبْرى النِّعَمِ التى وَهَبَها اللهُ لَهُ. والوَقْتُ هو أغْلى كَنْزٍ اسْتَوْدَعَهُ اللهُ عِنْدَنا أَمانَةً نُزَيِّنُ بِهِ دُنْيانا ونَكْسِبُ بِهِ آخِرَتَنا. وَضَياعُ الوَقْتِ وقَضاءُ العُمُرِ فى اللَّهْوِ والعَبَثِ لا يَليقُ بِالمُؤْمِنِ إطْلاقاً. فَهذا هُوَ الخُسْرانُ الأكْبَرُ لِلإنْسانِ.

إِخْوانى!

والحَقيقَةُ الثّانِيَةُ التى تُعَلِّمُنا إيّاها سورَةُ العَصْرِ هىَ أهَمِّيَّةُ نِعْمَةِ الإيمانِ. فَيُخْبِرُنا اللهُ تَعالى بِقَوْلِهِ "إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا" أنَّ الإيمانَ هُوَ أَوَّلُ شُروطِ النَّجاةِ مِنَ الخُسْرانِ. فَالحَياةُ التى يَقْضِيها الإنْسانُ بِدونِ الإيمانِ هى الخُسْرانُ الأكْبَرُ. والإيمانُ هُوَ أنْ يَفْتَحَ القَلْبُ شِراعَهُ صَوْبَ الإحْسانِ والبِرِّ والحَقِّ والحَقيقَةِ. والمُؤْمِنُ الذى يَنْطِقُ كَلِمَةَ الشَّهادَةِ والتَّوْحيدِ إيماناً ويَقيناً عاهَدَ نَفْسَهُ وَرَبَّهُ أنْ يَكونَ مع الإيمانِ ضِدّ الكُفْرِ، ومَعَ الحَقِّ ضِدَّ الباطِلِ، ومع العِزَّةِ ضِدّ الذُّلِّ، ومَعَ العَدْلِ ضِدّ الظُّلْمِ. و أنَّهُ قَبِلَ صَفَّ الحَسَناتِ، ونَأى عَنْ جانِبِ السَّيِّئاتِ.

إِخْوانى الكِرامُ!

والحَقيقَةُ الثّالِثَةُ التى تُعَلِّمُنا إيّاها سورَةُ العَصْرِ هى إِدْراكُ العَمَلِ الصَّالِحِ. فَاللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى قَدْ بَيَّنَ لَنا أَنَّ طَريقَ النَّجاةِ من الخُسْرانِ هو الإيمانُ والعَمَلُ الصَّالِحُ فَقالَ: "وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ". فَالعَمَلُ الصَّالِحُ هو انْعِكاسُ الإيمانِ على التَّصَرُّفاتِ كُلِّها، وحَياتُهُ فيها.

والعَمَلُ الصَّالِحُ هو كُلُّ قَوْلٍ وفِعْلٍ نَنَالُ بِهِ رِضا اللهِ تَعالى. فَكَما أَنَّ صَلاتَنا وصِيامَنا وزَكاتَنا وحَجَّنا المَعْجونِ بِالإخْلاصِ عَمَلٌ صالِحٌ كَذَلِكَ تَقْديمُ كُلِّ إمْكاناتِنا فى خِدْمَةِ البَشَرِيَّةِ عَمَلٌ صالِحٌ. وَمَدُّ يَدِ العَوْنِ لِلْمَظْلومينَ والمَساكينِ واليَتامى هو عَمَلٌ صالِحٌ. وكَوْنُ الإنْسانِ عَيْنَ الأعْمى وأُذُنَ الأصَمِّ ويَدَ الذى لا يَسْتَطيعُ مَسْكَ الأشْياءِ بِيَدِهِ ورِجْلَ الذى لا يَسْتَطيعُ المَشْىَ هُوَ عَمَلٌ صالِحٌ. كَما أَنَّ التَّمَسُّكَ بِقِيَمِنا وأُخُوَّتِنا هو عَمَلٌ صالِحٌ. والأمْرُ بِالمَعْروفِ والنَّهْىُ عَنِ المُنْكَرِ هو أيْضاً عَمَلٌ صَالِحٌ. وإماطَةُ الأذى عَنِ الطَّريقِ عَمَلٌ صالِحٌ كَما وَرَدَ فى الحَديثِ الشَّريفِ[2] . فالعَمَلُ الصالِحُ بِاخْتِصارٍ هو العَمَلُ الذى يَتَوافَقُ مَعَ رِضا اللهِ وفِطْرَةِ الإنْسانِ ومَصْلَحَةِ المُجْتَمَعِ.

إخْوانى الأعزاءُ!

والحَقيقَةُ الرّابِعَةُ التى تُعَلِّمُنا إيّاها سورَةُ العَصْرِ هى "**وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ**". أىْ أنْ يَكونَ الإنْسانُ دائِماً مَعَ الحَقِّ، ونُوَجِّهَ بَعْضَنا البَعْضَ لِلْحَقِّ والحَقيقَةِ، وأَنْ نُخْرِجَ أَنْفُسَنا وإخْوانَنا مِنْ ظُلُماتِ الباطِلِ والكَذِبِ والحِيلَةِ والفِتْنَةِ والفَسادِ، وأنْ لا نَحيدَ عَنِ الصَّوابِ والاسْتِقامَةِ فى عَلاقَتِنا مَعَ اللهِ تَعالى وبيئَتِنا والكائِناتِ كُلِّها مَهْما كانَ الثَّمَنُ.

إخوانى!

أمّا الحَقيقَةُ الخامِسَةُ التى تُعَلِّمُنا إيّاها سورَةُ العَصْرِ فَهِىَ "**وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**". أَىْ أَنْ يَصْبِرَ الإنْسانُ فى طَريقِ الحَقِّ، وأنْ نَنْصَحَ بَعْضَنا بَعْضاً بِالصَّبْرِ. ولَكِنْ يَجِبُ أنْ لا نَنْسى أنَّ الصَّبْرَ لا يَعْنى أَنْ نَتَحَمَّلَ الظُّلْمَ، بل يعنى أنْ نَثْبُتَ فى طَريقِ الحَقِّ والحَقيقَةِ.

إخوانى!

أَوَدُّ أنْ أَخْتِمَ خُطْبَتى بِهَذِهِ الأبْياتِ الشِّعْرِيَّةِ لِشاعِرِ الاسْتِقْلالِ والحُرِّيَّةِ المَرْحومِ محمد عاكِف يَقولُ فيها:

أُذكُرْ أَنَّ الصَّحابَةَ الكِرامَ لِماذا كانُوا يَقْرَؤُنَ سُورَةَ الْعَصْرِ قَبْلَ افْتِراقِهِمْ مِنْ مَجْلِسِهِمْ؟

لأنَّ أَسْرارَ الفَلاحِ مَكْنونَةٌ فى تِلْكَ السُّورَةِ العَظيمَة.

يأتى الإيمانُ الحَقُّ أَوَّلاً، ثُمَّ الصَّلاحُ، فَالحَقُّ فَالثَّباتُ، وهذِهِ هِىَ الإنْسانِيَّةُ يا حَبيبى!. إذاَ اجْتَمعتْ أَسْرارُ هذِهِ الأرْبعَةِ فى نَفْسِكَ لَنْ يَنالَكَ الْخُسْرانُ بَعْدَها أَبَداً.

---

[1] العصر، 103/ 1-3.

[2] مسلم، الإيمان، 58.